بعض من الجحيم !

مي عاطف

obeikan.com

حينما وقعت عيناى على تلك البوابة السوداء كئيبة المظهر لم يكن السؤال الذى تبادر إلى ذهنى فى البداية هو:أين أنا؟!

لكنه كان:من أنا؟!!

كنت أقف وحيداً فى هذا الظلام السرمدى و البرد يأكل من جسدى كيفما شاء،و حين بدأت فى تحريك البوابة بصعوبة و بطء أحدثت صريراً عالياً مخيفاً جعل أسنانى تصطك ببعضها إذ احتكت بالأرض كأنها أظفار الشيطان تسحق عظامى!

و عندما فتحتها رأيتهم..

الكثير والكثير من..الكراسى!!

كان يجلس عليها أناسٌ لم اتبين ملامحهم فى البداية و لكن عندما اقتربت من أجسادهم الساكنة كتماثيل من الشمع انتصب شعر عنقى بغتةً من هول ما رأيت..

كانوا ساكنين لأنهم كانوا جميعهم موتى!!،و كل واحدٍ منهم مقتول بطريقة أبشع من سابقه..بحق الجحيم أى شيطان ذاك الذى قد يفعل هذا؟!

لم تصدق عيناى ما رأيته ،واصلت التحديق فى وجوههم الشاحبة المخيفة ومن وراء عيونهم الزجاجية التى فارقها بريق الحياة أحسست فجأة بشعور غريب مبهم..

هل أعرفهم ؟ ذاك الشخص ذو العنق المهشمة المتدلية فوق صدره،و ذاك الأخر الذى تفحم جسده حتى لم يعد بالإمكان تمييز ملامحه..

السيدة ممزقة الذراعين والأرجل،الطفلان الملتصقان ببعضهما وثمة سكين مغمدة فى قلب كل منهما و..

لحظة واحدة..

هل هُيىء لى أم أن جثة المرأة كانت تنظر إلىّ؟!!

أدركت فى اللحظة التالية أنها لم تكن تهيؤات حين رأيت جميع الجثث تنظر نحوى محملقة فىّ فى صمت مخيف!!،شعرت أن عيونهم التى تشبه عيون الأسماك النافقة تنظر إلى عميقاً وتتوغل فىّ أكثر فأكثر حتى أخترقت حدقاتهم السوداء شغاف روحى بمنتهى القسوة..

ومع كل نظرة نحوى كنت اتنفس بصعوبة أكثر شاعراً بأن الهواء داخل رئتىّ قد صار هزيلاً رفيعاً آخذاً فى التناقص بنحوٍ مرعب،ساقاى بدأتا تخذلاننى كأننى أشعر بالخدر يسرى فيهما كالسم،آلاف الدبابيس تنغرس فى لحميهما وأنا أحاول المقاومة..

وفى النهاية انتصرالشلل!!

وبينما أنا فى هذا الوضع الذى لا أُحسد عليه إذ ابصرت ذاك الشىء من بعيد.. كرسى أخر هو الأضخم بينهم،و من بين الخيارات العديدة التى كانت متاحة لساقاى..اختارتا أن تتجهان نحوه!

ومع كل خطوة كنت أجر ساقىّ الثقيلتين فيها تجاهه كان قلبى على شفير أن يفقد صوابه كلياً لينهى هذه المآساة التى على وشك الحدوث بإيقاف انتحارى منه..

إلى أن وصلت أخيراً،و ها أنا ذا أقف أمامه!!

وبينما كنت أخطو آخر خطوة لى أخذت دقات قلبى تعلو بعنف جنونى كاد أن يؤدى إلى هلاكه و هلاكى معاً!!
شعرت أنه فى طريقه لتمزيق صدرى و الخروج منه، فاغمضت عينىّ للحظة ولم أكد افتحهما حتى طالعنى الجسد الميت فوق ذاك الكرسى..
أجل..لقد كان أنا!!
لم أكن فقط ميتاً،و لكن آثار التعذيب الوحشية كانت تملأ جسدى بمختلف الطرق حتى ليعجبك ذاك الفنان الجحيمى الذى قام بذلك الابداع!
عنق مهشمة،سكين مغمودة داخل قلبى،لا أطراف وصدر محترق!!
أيبدو هذا مألوفاً؟؟..لا استطيع التذكر.
بالكاد تمكنت من التعرف علىّ،وبينما أنا كذلك إذ رأيت عينىّ تنظران نحوى فى تحول مفاجىء للأمور ووجدت الجسد يتحرك بعنقه المتدلية المفزعة ويدفع نفسه نحو الأمام محاولاً السقوط من فوق الكرسى العملاق!
استفقت من هول الصدمة على صوت أنينه المخيف وهو يواصل محاولاته المحمومة ليدفع نفسه للسقوط فوقى، فأخذت اصرخ وأنا احاول الهرب منه لكن الكرسى واصل الاقتراب أكثر حتى بدا كأننى لا اتحرك من الأساس وصار الكرسى فوقى والجسد يحدق فىّ بعينه الواحدة الغير محترقة مواصلاً أنينه..
وحينما نظرت إلى الأعلى رأيت بعينين متسعتين صدره ورقبته اللذين مالا إلى الأمام بحدة ليسقط بسرعة رهيبة نحوى وصوت صراخى يكاد يمزق أذنىّ ويفجر الدماء من عنقى!!
صرخت كما لم اصرخ من قبل إلى أن صار كل شىء مظلماً وفى النهاية سقطت داخل هوة فمه الواسعة و السحيقة..
وتلاشى كل شىء من حولى فى مملكة اللاوعى!
عندما استيقظت وجدت نفسى راقداً فوق فراش،وربما شعرت بالبرودة لكننى كذلك شعرت بالراحة..
لقد كان مجرد حلم، كابوس بالأحرى و الشىء الغريب هو أننى لا استطيع

تذكر أى شىء عن حياتى..
لا شىء سوى ذاك الحلم!
لا أشخاص سوى هؤلاء الموتى فوق الكراسى،كيف اختفى كل شىء من ذاكرتى هكذا بغتة بحق الشيطان؟!
وضعت كفىّ على وجهى محاولاً تذكر أى شىء دون جدوى،حين أتى ذاك الخيط من الضوء فجأة كأنه قد أتى من العدم ومن وراءه سمعت أصواتاً صاخبة آتيةً من وراء باب الغرفة،دفعته لأرى مصدر هذه الأصوات..
نظرت حولى،كنت أقف داخل مستشفى على ما يبدو و تلك الأصوات كانت قادمة من احدى غرفها..
مليئة بالأطباء كانت،وكانوا منشغلين فى عملية جراحية،نظرت إلى الرجل الممدد على الطاولة أمامهم..
كان وجهه مغطى بالضمادات ويضعون فوق فمه جهازاً للتنفس، حاولت الاختباء خلفهم كى لا يرانى أحد منهم ومن ثم استمعت إلى ذلك الحوار الذى دار بينهم فى توتر واضح و أحدهم يقول:
(اصابته فادحة،لا اظن أن بامكان أحدنا انقاذه!)
فقال أخر مجيباً دون اكتراث:
(على أية حال يجب أن يموت!!)
رد عليه الأول فى دهشة:
(ماذا؟! يجب أن يموت؟! منذ متى ونحن نقول هذه الأشياء؟!!)
مطت الممرضة الواقفة خلفه شفتيها قبل أن تقول فى تردد:
(دكتور..اظن بأنك لا تعرف من هو!)
زدت من انتباهى عند هذه النقطة لكى اعلم من ذاك الشخص حين أجاب:
(لايهمنى من هو،واجبى يحتم علىّ أن أحاول انقاذه حتى أخر دقة من دقات قلبه!)
رأيت الممرضة تنظر بعينين مهتزتين نحو الطاولة قبل أن تقول بصوتٍ

متحشرج:
(حتى ولو كان ذلك الرجل هو..)
((سليم) الجزار..ذاك السفاح المعتوه الذى سفك دماء العديد والعديد من الضحايا!)
أتت العبارة الأخيرة من ورائى فالتفتت فى سرعة لأرى مصدرها..
حينها رأيتهم..
كانوا يقفون جميعاً جنباً إلى جنب ومازالت آثار الموت السادى الوحشية عليهم وعيونهم الميتة تحدق فىّ فى غضب وصمت قاتلين!
حينها بدأ كل شىء فى الاتضاح..
جهاز رسام القلب يشير إلى اضطراب عنيف فى القلب وأحد الاطباء يفك الضمادات عن الراقد فى بطء..
(لقد بدأ عذابك للتو..ودون مفر!!)
مع كل إشارة من الجهاز كانوا يقتربون أكثر منى..
نبضة تتقافز..
وخطوة ثقيلة كأنها تجثم فوق أنفاسى منهم..
الضمادات قد سقطت أرضاً أخيراً..
الوجه مشوه بالطبع لكننى استطعت أن اتبين من هو!
الجهاز يشير إلى توقف القلب تماما الآنَ..
اصطفوا فى دائرة من حولى و هم يرددون فى صوتٍ واحد جعل الدماء تتجمد فى عروقى:
(الآن تصير واحداً منّاً..الآن تصير واحداً منّا!)
ووضع الرجل ذو العنق المتدلية يده على كتفى قائلاً بابتسامة متسعة قاتلة:
(مرحباً بك..فى الجحيم!)
وعلت أصوات الصرخات بعدها وهم يسحبوننى نحو تلك البوابة..
لكننى لم استطيع الاستيقاظ هذه المرة..

لن استطيع الاستيقاظ أبداً!!!

obeikan.com